بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٠٧]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا أخذنا في الدرس الماضي الشرح لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في بيان أركان الإسلام وهو الحديث الثالث من الأربعين النبوية.

ذكر الإمام المؤلف النووي رحمه الله الحديث الرابع وهو حديث عبد الله ابن مسعور رضي الله عنه

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) –وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ– : "إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاَللَّهِ الَّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا". رواه البخاري ومسلم

[ترجمة الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

وهو الحديث الرابع من أحاديث الأربعين النووية، يرويه أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وهو من كبار الصحابة وفقهائهم وعلمائهم وعبّادهم ومفسّريهم، وفرّاضهم، وهو ممن تقدم إسلامه رضي الله عنه وأرضاه، فكان في ضمن الخمس الأوَل، أو السبع الأول ممن أسلم رضي الله عنه وأرضاه، وكان فيمن جهر بالقرآن بمكة وفي الكعبة حتى ضُرب وأوذي رضي الله تعالى عنه وأرضاه،

فيُعتبر ممن تقدّم إسلامه، وهو من علماء الصحابة، ومن قرّائهم، وقد أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال **(من سرَّهُ أن يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنْزِلَ ، فليَقرأهُ منَ ابنِ أمِّ عبدٍ)**[١] يقصد به ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

وكما أنه أيضا أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بصلاحه وتقواه وقوة إيمانه وثقل أعماله، فقد جاء أنه رقى نخلة فهبت الريح فأخذت بإزاره، فظهرت نحافة ساقيه، فضحك بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم **(لهما في لميزان أثقل من جبل أحد)**[٢]، وهذا فيه إشارة إلى أن الميزان الذي ينصب يوم القيامة، ويوزن فيه العبد، يوزن الإنسان نفسه، وعمله، وكتابه كذلك، والعبرة بالأمور الإيمانية، وبالأعمال الصالحة، فمع دقة ونحافة ساقي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إلا أنهما أثقل في الميزان من جبل أحد، ومع ضخامة كثير من الناس فلا يزن شيئا، قال صلى الله عليه وسلم **(يؤتى بالرجل يوم القيامة العظيم في السّمن فلا يزن عند الله جناح بعوضة)**[٣] ذلك لأنه لا شيء عنده من الإيمان، أو لا شيء له يوزن إلا كمثل جناح البعوضة، كما جاء في هذا الحديث، فهذا أيضا فيه بيان فضل ابن مسعود.

وجاء ما يدل على فضله أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يقرأ عليه القرآن، فقال **(اقرأ علي)** قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه **(أقرأ عليك وعليك أنزل؟)** قال صلى الله عليه وسلم **(إني أحب أن أسمعه من غيري)**[4] فقرأ عليه حتى وصل إلى سورة النساء، حتى وصل إلى قوله جلّ وعلا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾النساء٤١، قال عندها صلى الله عليه وسلم **(حسبك)**، قال ابن مسعود **(فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)** صلى الله عليه وسلم، والحديث في البخاري، فهذا أيضا مما يدل على فضله رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وهو من علماء الصحابة ومفتيهم، ومن ممثّليهم، ومن فرّاضهم، ومن أعلمهم بكتاب الله جل وعلا، حتى إنه رضي الله عنه قال **(لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله عز وجل مني تناله المطايا لأتيته)** يعني لا يعلم أحدا يعلم كتاب الله جل وعلا مثلما يعلمه ابن مسعود أو أزيد منه، فما من آية إلا ويعرف معناها وأين نزلت وفيمن نزلت، قال **(لو أعلم أحدا أعلم)** يعني أكثر منه علما في هذا، **(تناله المطايا)**

[١] [مسند الإمام أحمد ١٣٨/١، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح].
[٢] [غاية المرام 416: حسن].
[٣] [رواه الشيخان]
[٤] [صحيح مسلم 800]

يعني تصل إليه الرواحل، وتصل إليه الطريق، ويمكن أن يأتيه مسافرا إليه فإنه رضي الله عنه وأرضاه، يأتيه ويذهب إليه، وهذا يدل على:

١= أولا سعة علمه رضي الله عنه، وبخاصة بكتاب الله عز وجل.

٢= وثانيا أنه لا يفتر عن تحصيل العلم وطلب العلم ولو مع كبره.

٣= وثالثا يدل أيضا على تواضعه وأنه إذا وجد من هو أعلم منه فلا يمنعه ذلك من أن يتعلم منه، وهذا هو شأن المسلم وشأن المؤمن، فرضي الله تعالى عنه وأرضاه، وقد كانت وفاته سنة اثنين وثلاثين من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

[الصادق المصدوق]

يقول (**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) -وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-**) النبي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق، أي الصادق والمصدوق في ما يقول، الصادق في نقله، والمصدوق في خبره، فهو صادق فيما يقول أنه وصل إليه، وأوحي إليه وهو مصدوق ومصدّق في نقله إلينا، وهذا وصفه عليه الصلاة والسلام، صادق ومصدوق، صادق ومصدَّق أيضا، فصادق فيما يقول أنه جاءه من ربه، صادق في نقله، وأيضا يصدّقه غيره من الناس، ومصدوق فيما ينقله عن ربه تبارك وتعالى، وفيما يقوله أيضا في الشرع كذلك.

[مراحل الإنسان في بطن أمه]

(**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**) النطفة هي نطفة الرجل التي تقع في رحم المرأة، -وكما قال عليه الصلاة والسلام- فليس الولد من كل الماء، فقد يكون الولد من قطرة واحدة يقول أهل العلم، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزل أنهم قالوا (**يا رسول الله أنعزل؟**)، قال (**لا عليكم أن تفعلوا**) يعني سواء فعلتم هذا العزل أو لم تفعلوا (**فإن الله إذا قدر الشيء كان، وليس من كل الماء يكون الولد**)[١] فلربما يكون الولد من القطرة الواحدة .. النطفة.

١ [نحوه في صحيح مسلم ١٤٣٨]

(ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً) العلقة قطعة من اللحم قد تكمدت وتجمدت، هذه هي العلقة، قطعة دم غليظة، المضغة هي قطعة لحم كالأُكلة التي تُمضغ وتُعض بالأضراس، هذا الحديث فيه إشارة إلى أطوار، ومراحل الإنسان التي يمر عليها، وهذه المراحل جاء ذكرها في كتاب الله جل وعلا، في سورة الحج، وفي سورة أيضا المؤمنون فقال جل وعلا في سورة الحج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ الحج٥، مصورة وغير مصورة ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هذه المضغة المخلّقة وغير مخلقة، ما الذي يجعلها تستقر في الرّحم فلا تسقط؟ ربنا جل وعلا، فمنها ما يتعلق بالرحم ولا يسقط، ومنها السقط، فيصيب المرأة السقط فتسقط جنينها، { ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا } ، إلى آخر الآية، وجاء بيان أطوار الخلق هذه في سورة المؤمنون بتفصيل أكثر، حيث قال جل وعلا ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥﴾ المؤمنون١٢-١٥.

[طبائع الناس تبع لطينتهم]

{ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ } هذا أصل خلق الإنسان، فأصل خلق الإنسان من سلالة من طين، وما من أحد إلا وفيه أثر من ذلك الطين، والله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام خلقه من جميع أنواع تربة الأرض، وتربة الأرض أشكال وألوان منها اليابس ومنها الطري، منها ما يثبت ومنها مالا يثبت، منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت، منها الرطب ومنها الصلب ... وهكذا، ولهذا تجد طباع الناس تختلف، لأن كلّا منهم أصابه من هذه الأنواع المختلفة، من الناس من تجده لينا وسهل المعاملة لما أصابه من أصل ذلك النوع من الأرض، ومنهم الصلب والشديد حاله كحال الآجر ما يمكن أن تلييه أو تنحني له، إذا أنحيته انكسر، وأناس آخرون لا! تحنيه كما تشاء، لأن أصله من كذا، وهذا فيه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم **(الناسُ معادنُ ، خيارهم في الجاهليةِ خيارهم في الإسلامِ ، إذا**

فَقِهُوا)[1]، { وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ } وهو الرحم، حيث تستقر النطفة، وتتشبث بسقف جدار الرحم، وتتمكن حتى يصيبها الزبد، ورغوة، حتى يمر عليها أمد فتصير علقة، { ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً } بعد أن يمر عليها وقت { فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً } وفي الآية الأخرى { ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ }الحج٥، مصورة وغير مصورة، { فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ }، هذه مراتب وأطوار خلقة الإنسان.

والآن في ميدان الطب لا يجاوزون هذه الأطوار لا يكادون أن يخرجوا من هذه المراحل والأطوار حيث لمّا ظهرت المجاهر الإلكترونية، والكشوفات التي يمكن أن يُرى حقيقة تطور الجنين، فجميع تحريراتهم وتقريراتهم لم تخرج عن ذكر هذه الأطوار وهذه المراحل التي أشار إليها ربنا جل وعلا في كتابه سبحانه وتعالى.

[حياتان وموتتان]

(إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) فحديث ابن مسعود يشير إلى أن هذه الأطوار الثلاثة تمر في زمن معين محدد، أربعين، أربعين، أربعين، أربعون يوما نطفة، وبعدها أربعون يوما علقة، وبعدها أربعون يوما مضغة **(ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ)** فنفخ الروح يكون بعد الأربعين الثالثة، إذن في تمام الأربعين لم ينفخ فيه الروح، فتقدير كونه نطفة، علقة، مضغة، في مدة مائة وعشرين يوما، في هذه المدة يعدّ ميتا، ثم تقع الحياة بنفخ الروح، ثم يخرج إلى الدنيا فيموت ثم يبعث يوم القيامة، وهو معنى قول ربنا جل وعلا {**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**}غافر١١، فموتة حال كونه نطفة، علقة، مضغة، لم ينفخ فيه الروح، موتة أولى، ينفخ فيه الروح حياة أولى، تمر به إلى أن يخرج من بطن أمه ويعيش حتى يموت الموتة الثانية، ثم يبعث يوم القيامة الحياة الثانية، وهذا ليس فيه إنكار للحياة التي هي ما بين القبر وما بين يوم القيامة، وهو عالم البرزخ، كما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال

[1] [رواه الشيخان]

جل وعلا ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾البقرة٢٨، { فَأَحْيَٰكُمْ } بعد موت، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}، فهتان موتتان وحياتان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾غافر١١ فهذا هو معنى الحديث.

وجاء تفسيره من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (**إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شَعْر وظفر، فتمكث أربعين يوما، ثم تنحدر في الرحم، فتكون علقة**) قال (**فذلك جمعها**) جمعها أربعين يوما نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إذا جاءت النطفة قال (**طارت في كل شَعْر وظفر، فتمكث أربعين يوما، ثم تنحدر في الرحم، فتكون علقة**) فهذا جمعها أربعين، كذلك في العلقة، وكذلك في المضغة.

وفي طريق آخر من حديث مالك بن الحويرث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إذا أراد اللّهَ خلقَ عبدٍ فجامعَ الرجلُ المرأةَ طارَ ماؤهُ في كل عرقٍ وعضوٍ منها ، فإذا كانَ يوم السابع جمّعهُ اللّهُ ثم أحضرهُ كلُّ عرقٍ لهُ دونَ آدم في أيِّ صورةٍ ما شاءَ ركّبهُ**)[1]، هذا رواه الطبراني وابن منده في كتاب التوحيد، وقال إسناده متصل ومشهور على نسق أبي عيسى والنسائي، يعني على شرط الترمذي والنسائي رحمة الله تعالى على الجميع.

قال (**ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ**) إذن عشرون ومائة يوما الأولى ثلاثة أطوار، يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة، والقرآن ذكر التفسير أكثر وأكثر، فذكر سبعة أطوار كما أشرتُ إليها، وفي ذلك يقول ابن عباس (**خلق ابن آدم من سبع**)، ثم يتلو هذه الآية وهي من سورة المؤمنين التي ذكرناها سابقا.

[الإجهاض قبل العشرين ومائة]

هذا حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهو صريح في أن الخلق أولا يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم بعد ذلك يأتي النفخ في الروح، قوله عليه الصلاة والسلام (**ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**) أخذ منه بعض العلماء أنه يجوز للمرأة أن تسقط قبل العشرين ومائة، لأنها إن

[1] [السلسلة الصحيحة ٣٣٣٠: حسن على شرط الترمذي]

أسقطت لم تسقط حيا، وإنما أسقطت نطفة أو علقة، أو مضغة، ولا يقال إنها أسقطت حيا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**)، فالنفخ يكون بعد عشرين ومائة، فقال بعض الفقهاء إذن يجوز الاسقاط بعد عشرين ومائة، وهذا قول فقهي ضعيف، ولا يصح لأن هاهنا الجنين قد انعقد وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن العزل فقال (**هو الموءودة الصغرى**)[١] مع أن العزل لم ينعقد الولد أصلا ، في العزل لم يوجد الولد بالكلية، وإنما يتسبب الرجل في منع انعقاده، بأن يكون ماء الرجل خارج المرأة، هذا هو العزل، ومع ذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الموءودة الصغرى، والموءودة من وأدَ يئدُ وأدًا وهو الدفن حيا، فسمي العزل بالموءودة الصغرى، ولهذا قال بعض العلماء بكراهيته، أنه مكروه، فكيف إذا صار الولد نطفة وانعقد، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ولو لم ينفخ فيه الروح كيف يجوز إسقاطه؟ هذا قول لا شك ولا ريب أنه في الفقه ضعيف وضعيف جدا، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه البخاري ومسلم لمّا سئل عن العزل قال (**لا عليكم ألا تعزلوا إنه ليس من نفس منفوسة إلا الله خالقها**)[٢] مهما تكون النفس فالله خالقها، يعني سواء عزل أو لا، إذا أراد الله الولد فإنه يكون لاشك ولا ريب، وليس من كل الماء يكون الولد، فقد يكون من قطرة واحدة كما ذكر العلماء.

[توجيه روايات حول مراحل تكوين الإنسان في بطن أمه]

(**ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**) بعد المضغة لا شك يكون ذكر العظام، لكن هاهنا رواية لحديث جاء في صحيح مسلم من طريق حذيفة بن أسيد رضي الله عنه فيه الإشارة إلى أن خلق اللحم والعظام يكون في الأربعين يوما الأولى على خلاف ما جاء في حديث ابن مسعود، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إذا مرَّ بالنطفةِ ثنتان وأربعون ليلةً، بعث اللهُ إليها ملَكًا. فصوَّرها وخلق سمعَها وبصرَها وجلدَها ولحمَها وعظامَها. ثم قال: يا ربِّ! أذكرٌ أم أنثى؟ فيَقضي ربُّك ما شاء. ويكتبُ الملَكُ. ثم يقولُ: يا ربِّ! أَجلُه. فيقول ربُّك ما شاء ويكتبُ الملَكُ. ثم يقولُ: يا ربِّ! رِزقُه. فيقضي ربُّك ما شاء. ويكتبُ الملَكُ. ثم يخرجُ الملَكُ بالصحيفةِ**

[١] [مجمع الزوائد 4/300: رجاله رجال الصحيح ورقد رجع عنه]
[٢] [رواه الشيخان]

في يدِه. فلا يزيدُ على ما أُمِرَ ولا يَنقصُ)[1]، وهذا الحديث ظاهره أن تصوير الجنين، وخلق سمعه وبصره، ولحمه وعظامه وجلده، يكون في الأربعين الثانية **(ثنتان وأربعون ليلة)**، وعلى ذلك فيلزم أن الأربعين الثالثة أو الثانية يكون فيه اللحم والعظم، على خلاف ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

فبعض العلماء تأول الحديث وقال المقصود أن النطفة إذا صارت علقة، فإنها تُقسم إلى أجزاء، لا يعني أن ذلك يقع في الأربعين الثانية لا، ولكن النطفة إذا صارت علقة قُسّمت أجزاء هذا للحم، وهذا للعظم، وهذا للعصب، وهذا للأذن، وهذا للبصر ... وهكذا، لكن وجودها يكون بعد الأربعين الثالثة، هكذا فسّره بعض العلماء، وهذا فيه بعد كما قال بعض أهل العلم، وقد قال الله تعالى في كتابه﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ ﴾الإنسان٢، أمشاج النطفة فسره العلماء بأنه العروق التي فيها، أمشاجها أي عروقها.

وبعض العلماء قال حديث ابن مسعود المقصود أن الجنين يغلب عليه في الأربعين الأولى وصف المني، وفي الأربعين الثانية وصف العلقة، وفي الأربعين الثالثة وصف المضغة، وإن كانت خِلقَته سمعه وبصره وجلده وعظمه وعصبه قد يتم تصويره قبل ذلك، قالوا وحديث ابن مسعود ليس فيه تصوير الجنين، وإنما ذكر النطفة ثم العلقة، ثم المضغة، حديث أسيد ذكر أن بعد ثنتي وأربعين ليلة يكون الجلد والعظم واللحم والسمع والبصر، ونحو ذلك، وقد رُوي عن ابن مسعود ما يدل على أن تصويره قد يقع بعد الأربعين الثالثة، وذاك في رواية قال **(النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها الملك، فأخذ بكفه، فقال أي رب مخلّقة أو غير مخلّقة، فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام، وإن قيل مخلّقة قال: أي ربّ أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ ما الأجل؟ وما الأثر؟)** -أي العمل- **(وبأي أرض تموت؟ فيقال للنطفة من ربك؟ فتقول: الله، من رازقك؟ فتقول: الله، فيقال: اذهب إلى الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال: فتُخلق فتعيش أجلها وتأكل رزقها وتقع في أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدُفنت في ذلك)** ثم تلا الشعبي -بعد هذا الحديث حيث رواه عن علقمة عن ابن مسعود- قوله تعالى **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ**

[1] [صحيح مسلم ٢٦٤٥]

مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ}الحج٥، فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة ، فإن كانت غير مخلقة ، قذفتها الأرحام دما ، وإن كانت مخلقة نكست نسمة)[١]، رواه ابن أبي حاتم، ورواه الطبري في تفسيره.

وبعض الفقهاء قال في رواية ابن مسعود أقل ما يتبين الخلق كونه ولدا في واحد وثمانين يوما، لأنه لا يكون مضغة إلا في الأربعين الثالثة، ولا يتخلق قبل أن يكون مضغة، فمتى يبين أنه ولد في واحد وثمانين يوما، وهذا خلاف بين أهل العلم رحمة الله تعالى على الجميع.

وعلى كلٍّ فكما ذكرنا الأحاديث قد اختلفت في شيء من هذا، فحديث ابن مسعود أصل في هذا الباب، فيقال: يكون نطفة في أربعين، ثم علقة أربعين، ثم مضغة أربعين، وقد يختلف ذلك من جنين إلى آخر، على نحو ما ذكرنا والله تعالى أعلم.

قال - في حديث ابن مسعود - **(ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ)** ففيه النفخ في الروح ثم يؤمر بكتب أربع كلمات فإذن فيه النفخ في الروح ثم الكتابة، وفي بعض الروايات الكتابة ثم النفخ في الروح، فإما أن تكون الرواية الثانية هي مروية بالمعنى، وإما أن يكون المراد ترتيب الأخبار، ليس ترتيب ما أُخبِر به، فيكون حديث ابن مسعود هو العمدة، ويدل على تأخر نفخ الروح في الجنين، وكتابة الملك لأمره إلى بعد أربعة أشهر حتى تتم الأربعون الثالثة، إذن عندنا حديث ابن مسعود، فيه النفخ والكتابة بعد الأربعين الثالثة، وحديث حذيفة بن أسيد فيه ما قد يخالف ذلك، فلربما الذكر ليس من باب ترتيب المراحل، وإنما من باب الإخبار، ولربما يكون بعض الرواة روى بالمعنى.

لكن الحاصل أن أصل الحديث هو حديث ابن مسعود، فتكون الكتابة والنفخ في الروح بعد الأربعين الثالثة، وذاك ما روي عن كثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

[متى تعد المرأة نفساء إذا أسقطت]

[١] [انظر جامع العلوم والحكم ص ١٦١]

فنقول: النفخ في الروح يكون بعد أربعة أشهر، الأربعين الأولى، الثانية، الثالثة، عشرين ومائة يوما، صارت أربعين يوما، ذلك منقول عن غير واحد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، وبناء عليه فأحكام النفاس تترتب على ما بعد الأربعين، ما بعد أربعة أشهر، عشرين ومائة يوما، أو قبيل عشرين ومائة يوما إذا كان الجنين قد ظهر خلقته على الحقيقة، يني إذا أسقطت المرأة قبل العشرين ومائة لا تعد هنا نفساء، إذا أسقطت بعد العشرين ومائة تعد نفساء، وعلى ذلك تترتب أحكام فقهية أخرى كثيرة، وكثيرة جدا.

[النفخ في الروح والكتابة]

النفخ في الروح أيضا كما في حديث ابن مسعود أنه يكون بعد أربعة أشهر، وإن كان في بعض الروايات جاء ذكر أن الكتابة تكون قبل ذلك، تكون الكتابة في خمسة وأربعين يوما الأولى، هذا جاء في بعض الروايات، وجاء في بعض الروايات أنها تكون في الأربعين الثانية، وحديث ابن مسعود هو أجمعها، وبعض العلماء قال: يُجمع بين هذه الأحاديث بأن الكتابة على قسمين، كتابة في السماء، وكتابة في بطن الأم، لكن الصواب أنها كتابة واحدة، ولربما قال الحافظ ابن رجب: يختلف ذلك من جنين إلى آخر، فمنهم من تكون له كتابة في الأربعين الأولى، وبعضهم كتابة بعد الأربعين الثالثة، وهذا توجيه منه والله تعالى أعلم.

وهذه الكتابة **(وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ)** قيل إن هذه الكتابة تُكتب على الجبين بين عيني الإنسان، وأوردوا في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه أنه **(يكتب بين عينيه ما هو لاق حتى النكبة ينكبها)**[1]، وقد رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه كذلك.

قال بعد ذلك **(وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ)** فهذا يدل على أن كل ذلك يكتب على الإنسان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم **(إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)**[2] فكل شيء مقدّر وكل شيء مكتوب، وسابق في علم الله، وأيضا مكتوب كذلك.

[1] [تخريج كتاب السنة ١٨٦: صحيح]
[2] [صحيح مسلم ٢٦٥٣]

[كلٌّ ميسّر لما خلق له]

وجاء في الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه، قوله (**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو من النار، وإلا وقد كتب شقية أو سعيدة**)، فقال رجل يا رسول الله أفلا نثبت على كتابنا وندع العمل؟) يعني مادام كل شيء مقدر قال (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**)، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسّرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قوله تعالى { **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**}الليل٥-٧[١]، إلى آخر الآيات، فالسعادة والشقاوة سبق بها الكتاب، وكلٌّ ميسّر لما خُلق له، قال رجل (**يا رسول الله أيُعرف أهل الجنة من أهل النار**) قال (**نعم**) قالوا (**فلم يعمل العاملون؟**) قال (**كل يعمل لما خلق له**) أو (**لما يُسّر له**)[٢].

فهذا يدل على أن كل شيء مكتوب: الرزق، العمل، الأجل، شقي أو سعيد.

[ويعلم ما في الأرحام]

وأيضا ذكر أو أنثى، إذن فمعرفة كونه ذكرا أو أنثى يكون بعد تمام الخلقة، يعني على حديث ابن مسعود بعد أربعة أشهر، عشرين ومائة يوما، على حديث حذيفة بن أسيد إن فُهم على ظاهره، ففي الأربعين الثانية، وقيل الأربعين الثالثة، -طيب- قبل ذلك أيمكن أن يُعرف أذكر هو أم أنثى؟ ما يعرفه أحد، لا الأطباء بالوسائل الحديثة، ولا حتى الملك، لأن الملك يقول كما جاء في رواية (**أي رب أذكر أم أنثى**)، وهذا حقيقة معنى قوله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾لقمان٣٤، هذا يعلمه ربنا جل وعلا، لا يعلمه أحد، وفي الآية الأخرى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾فاطر١١، كل هذا لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وقوله {وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ} كل ما يتعلق به، والوسائل الحديثة والأطباء لا يعلمون أول ما تقع النطفة في الرحم، بل أول ما يجامع الرجل المرأة هل يستطيع الأطباء أن يقولوا إن النطفة هذه ستكون ولدا! أو ستكون ذكرا أو أنثى!؟ لا يستطيعون، لهذا قال جل وعلا ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ الحج٥، فهذا لا يعلمه أحد، إذن هذه الوسائل الحديثة التي صارت، قد يعلم بها الذكر أو الأنثى، فهذا بعد أن يصير

[١] [رواه الشيخان]
[٢] [صحيح البخاري ٦٥٩٦]

ذكرا أو أنثى، ليس قبل ذلك وحتى الملك لا يعلم ذلك إلا بعد أن يقول الرب جلّ وعلا، بعد أن يسأل الملك (**أذكر أو أنثى؟**) فيقول ذكر أو أنثى.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يكون ذكرا ومتى يكون أنثى، في حديث ثوبان عند مسلم لما جاء اليهود يسألون، قالوا: نسألك أسئلة لا يجيب عنها ولا يعرفها إلا نبي، ومن ذلك قالوا: متى يكون المولود ذكرا أو أنثى؟ فقال (**إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكَر، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنث**)[1]، ولكن السبيل إلى علم ذلك يعلمه الله سبحانه وتعالى.

ثم قال صلى الله عليه وسلم (**فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**) الحلف من باب التأكيد، فيجوز أن يحلف دون داع، ودون طلب، يريد التأكيد.

[الخواتيم ميراث السوابق]

(**فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**) قال بعضهم، هذا من كلام ابن مسعود، وهذا ليس صحيحا، بل هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في أحاديث أخرى كثيرة تدل على هذا المعنى، كحديث الصحيحين، حديث سهل بن سعد الساعدي، وأنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار**).

قال (**فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ**) يعني قد بلغ في العمل الغاية، حتى قرب من الجنة، فيسبق عليه الكتاب الأول، كتاب الله جل وعلا الذي جعل فيه أهل الجنة وأهل النار، فريق في الجنة وفريق في السعير، هؤلاء إلى الجنة، وهؤلاء إلى الناس.

(**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**) إذن هو عمله كان فيه شيء، ولهذا جاء في الحديث الآخر (**إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**) لكن الباطن على خلاف ذلك، وهذا لا يعارض قوله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

[1] [صحيح مسلم ٣١٥]

عَمَلًا﴿٣٠﴾﴾الكهف٣٠، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴿٩٦﴾﴾مريم٦٩، هذا لا يعارض، لأن المقصود من عمل عملا صالحا جمع فيه بين الاخلاص والاتباع، جمع فيه شروط القبول، لمن عمل ذلك بشرط القبول، لكن قد يعمل الإنسان العمل، ولا يُنقص فيه، قد يعمل العمل ولا يكون صوابا، قد يعمل العمل ويكون مراءاة، قد يعمل العمل الصالح في الظاهر، ولكن الباطن على خلاف ذلك، ولهذا فليس في الحديث ما يعارض الآيات التي ذكرنا، وغيرها أيضا كثير، وإنما بينهما التوافق كما قال أهل العلم.

وهذا الحديث يدل على أن العبرة بالخواتيم كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث سهل بن سعد عند البخاري (**إنما الأعمال بالخواتيم**)[١] أي يُنظر إلى ما يختم لهن وقال صلى الله عليه وسلم (**إنما الأعمال كالوعاءِ ، إذا طاب أسفلُه طاب أعلاه ، و إذا فسد أسفلُه فسدَ أعلاه، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله**)[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم (**نَّ الرَّجلَ ليعملُ الزَّمنَ الطَّويلَ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ ، ثمَّ يُختمُ عملَهُ بعملِ أَهْلِ النَّارِ ، وإنَّ الرَّجلَ ليعملُ الزَّمنَ الطَّويلَ بعملِ أَهْلِ النَّارِ ثمَّ يختمُ لَهُ عملَهُ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ**)[٣]، ونحو هذه الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم، كثيرة وكثيرة جدا، ولهذا ينبغي للمسلم أن يراقب ربه وأن يراقب نفسه، وأن يجتهد في الإحسان، وإتقان عمله، وأن يجدد دائما الإخلاص مع ربه فيجتهد أن يكون عمله صوابا وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذلك أحرى في قبول العمل، فالحديث كما ذكرت (**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**) تفسره الرواية الأخرى (**فيما يبدو للناس**) يعني ربما كان في نفسه دسيسة باطلة واعتقاد سيء، وعمل سيء أوجب له سوء الخاتمة عند الموت فكان حاله كما ذكرت، ولهذا قال بعض العلماء (**الخواتيم ميراث السوابق**) وكل ذلك سبق في كتاب الله السابق.

[حرص السلف على حسن الخاتمة]

ومن هنا اشتد حال السلف بأمر سوء الخاتمة أو بأمر الخواتيم، لأنه لا يُعلم بما يختم له، ولهذا قال بعضهم (**كيف أهنأ ولا أدري في أي القبضتين أنا**) يقصد قبضة الرب جل وعلا من ظهر ابن آدم فقال

[١] [سبق تخريجه]
[٢] [صحيح الجامع ٢٣٢٠: صحيح]
[٣] [صحيح مسلم ٢٦٥١]

(هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وما ربك بظلام للعبيد) فقلوب الأبرار معلّقة بالخواتيم كما قال بعض السلف.

قال بعض الصحابة عند موته -كما ذكرت- وقد سئل، فقال **(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله قبض خلقه قبضتين فقال: هؤلاء إلى الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت)**[1]، وقال بعض السلف **(ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق)**[2]، يعني الإنسان يرى من نفسه أنه من أهل الإيمان، والعمل الصالح، والتقوى، ولكن بمَ سيختم له؟، لهذا لا يجوز للإنسان أن يدخله العُجب، أو أن يدخله الاغترار، أو أن يقول: أنا آمن على نفسي، وأنا أضمن نفسي، أو آمن على كذا، أو فلان لا خوف عليه، أو فلان لا يخشى عليه شيء، أو إلى آخره، فإياي وإياكم ابدا لا يغتر الإنسان بنفسه بل يبكي لربه يسأله جل وعلا حسن الخاتمة، وسوء الخاتمة هذه أمرها من أعجب ما يكون، فكثير من الناس خُتم لهم بالسوء عياذا بالله تعالى، قال عبد العزيز بن أبي رواد **(حضرت رجلا عند الموت يلقّن لا إله إلا إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول ومات على ذلك)** فلما سأل عنه قيل له إنه كان مدمن خمرٍ، فكان عبد العزيز يقول **(اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته)**[3]، فيتقي الإنسان الذنوب، فهي قد تكون سببا لسوء الخاتمة عياذا بالله تعالى، ولهذا لابد على الإنسان أن يخلص في عمله، ويجتهد في أن يرضي ربه تبارك وتعالى، وأن يكون مريدا بعمله وجه الله سبحانه وتعالى.

وكان بعض السلف إذا حضرته الوفاة يبكي يقول: أخاف أن أسلب الإيمان، وكان الصحابة يخافون على نفسهم من النفاق، ولربما يشتد خوفهم وجزعهم، فالمؤمن يخاف على نفسه من النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة، فقد يخرجه إلى ما هو أشد من ذلك، وكيف لا يخاف على نفسه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول **(اللّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**، فيقال له: يا نبي الله آمنّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا، فيقول **(نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء)**[4]، رواه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث صحيح، فهذا يدل على أن الخاتمة أمرها عظيم، وهي تتعلق بالقلوب، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، ويصرفها

[1] [مسند الإمام أحمد ١٧٦/٤ عن بي نضرة عن رجل من الصحابة يقال له أبو عبد الله]
[2] [جامع العلوم والحكم١٨٠]
[3] [جامع العلوم والحكم٥٠]
[4] [صحيح مسلم٢٦٥٤]

كيف يشاء، ولهذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام **(اللَّهمَّ مُصرِّفَ القلوبِ صرِّف قلوبَنا على طاعتِكَ)**.

فاللَّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، واللَّهُمَّ يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

[فوائد منتقاة من الحديث]

الحديث -حديث ابن مسعود هذا- قد تضمن فوائد كثيرة ومنها:

وصف ابن مسعود للنبي صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق، وسبق تفسيره وأنه صادق مصدَّق عليه الصلاة والسلام.

وفيه بيان أطوار خلق الإنسان، وأنها على ثلاث مراحل، وفيه ذكر أنها على سبعة أطوار بتفصيل في كتاب الله عز وجل.

وفيه ذكر أن أول ما يكون منه الخلق نطفة، ثم علقة بعد ذلك، ثم مضغة بعد ذلك، وفيه أن النفخ والكتابة تكون بعد أربعة أشهر، وفيه ان النفخ يكون الأول، فيرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح ثم يؤمر بكتب أربع كلمات كما جاء في حديث ابن مسعود الذي ذكرنا لفظه.

وفيه أيضا أن أول ما يكتب الرزق والعمل والأجل وشقي أو سعيد.

وفيه أيضا أن أهل الجنة، وأهل النار، وأهل السعادة، وأهل الشقاوة، كل ذلك قد سبق في علم الله، وقد قضي وقدّر، كتبه الله تبارك وتعالى.

وفيه أن الأعمال بالخواتيم.

وفيه كذلك أن من عمل بأسباب السعادة فيرجى له أن يُختم له بالسعادة، ومن عمل بأسباب الشقاء يخشى عليه أن يختم له بالشقاء.

وفيه أيضا أن الأعمال بالخواتيم، ولهذا يجب أن يجتهد دائما ليكون على أحسن حال، لأن الأعمال بالخواتيم، فإذا كنت قائما على معصية، تخاف الله أن يختم عليك بذلك، فتكون خاتمتك على معصية وهذا عمل سيء وخاتمة سوء، فإذن إذا استحضر الإنسان دائما أن الأعمال بالخواتيم، فإذا وقع على

معصية ما استحضر أن الأعمال بالخواتيم، والموت لا يعلمه إلا الله، وقد يدركه الموت وهو على تلك الحال، فيبتعد عنها ويجانبها ويدفع عنه هذا الأمر.

وفيه من الفوائد أيضا أن من الناس من قد يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، ومنهم من يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس.

وفيه أيضا أن الباطن له أثره في اعتبار الأعمال، فهؤلاء الذين عملوا بعمل أهل الجنة لكن باطنهم على غير ذلك خاتمتهم كانت سيئة، وأولئك الذي عملوا بعمل أهل الباطل لكن باطنهم كان جيدا حسنا مرضيا عند الله جل وعلا، كانت لهم الخاتمة الحسنة.

وفيه الحلف على الشيء من غير استحلاف، من باب التوكيد.

وفيه لا أحد يعلم -ما في الأرحام- أذكر هو أو أنثى إلا بعد أمر الله جل وعلا، وذلك بعد أربعة أشهر كما جاء في حديث ابن مسعود، وحتى الملك لا يعرف ذلك إلا بعد أربعة أشهر.

وفيه أن الرزق محدد، ولهذا لا يحمل الإنسانَ طلبُ الرزق على أن يطلبه بالحرام، فما قُدر له هو آخذ له لا محالة، يعني مقدر للإنسان الرزق، فإذا كان في معاملة تجارية تربح أنت خمسين، يستحيل أن تأخذ غير ذلك، سواء طلبت هذه الخمسين أو أزيد من ذلك في الحلال أو في الحرام، قضى الله لك أن تأخذ الخمسين تأخذ الخمسين، إذن هذه الخمسين موجودة ومحددة ومقدّرة فاطلبها بالحلال، لا تطلبها بحرام، بعض الناس يأتيه مشروع ومشروعان وكذا، وتأتي بعض العراقيل المحرّمة فيتساهل -هذه وفقط!- الفائدة هذه التي ترجوها من المشروع مائة مائتين، مليون، مليار ... كم! هذه إذا كانت مكتوبة لك فإنك آخذها لا محالة، ومادام أنت آخذها يستحيل أن يأخذ أحدهم رزقك، فإذن اطلبه بالحلال، وإياك أن تعتقد أنك إذا لم تفعل خسرت! أو فاتك ربح كبير!.

بعض الناس يأخذ الرشوة في التجارة، تأتيه العراقيل المحرمة، يتركها يقول: لا! أنا أتبع الطريق الحلال، فإذا اتبع الطريق الحلال ضاعت التجارة، يقول: لو فعلت كذا لأخذت!، والله لن تأخذ لو فعلت ذاك الحرام، لن تأخذ والله، لأن هذا الأمر مكتوب أنك تأخذ هذا الرزق، والعكس بالعكس، يقول: هذه الرشوة فقط، هذا الاقتراض من البنك فقط!، فيقترض أو يرتشي وبعدها يأخذ مليارا أو اثنين أو ثلاثة،

هذه لو كانت بأي طريقة لأخذها لو أنك مشيت بطريق الحلال فإنك تأخذه لا محالة، وهذه يجربها الإنسان في حياته الدنيا.

فالحاصل أن هذه جملة من الفوائد التي يتضمّنها الحديث أشار إليها بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم.